المدرسة الشمسية في ذمار ودور بعض من علمائها وطلبتها في التعليم والحركة الوطنية في اليمن في العصر الحديث والمعاصر

أ . د . صادق ياسين الحلو*

التسمية والتأسيس :

كانت ذمار أحد مراكز العلم والثقافة العربية والإسلامية في اليمن[1]، فهي من أقدم المدن اليمنية التي أنشئت فيها المساجد، وكان لها مكانتها المتميزة في العصر الإسلامي، وغالبا ما كانت المساجد تستخدم مدارس للتعليم كما هو الحال في مختلف بلدان العالم الإسلامية ، كالمدرسة المستنصرية في بغداد وجامع الزيتونة في تونس وغيرها .

ومسجد المدرسة الشمسية في ذمار يقع في حي الجراجيش أحد أحياء مدينة ذمار القديمة ، هو من أشهر مدارس العلم في اليمن ، ويأتي بعد مدارس مدينة زبيد وصعدة وجبلة والجامع الكبير بصنعاء ، وهذه المدارس جميعها مكان علم وهجرة لطالبي العلم[2] .

وسميت بالمدرسة الشمسية نسبة إلى الأمير شمس الدين بن الإمام شرف الدين الذي أشرف على بنائها وعمارتها في عهد والده الإمام شرف الدين [3] في القرن العاشر الميلادي .

ويختلف الباحثون حول سنة تأسيس هذا المسجد الذي سمي فيما بعد بالمدرسة الشمسية ، إذ يشير المؤرخ اسماعيل بن علي الأكوع إلى أنها بنيت في عام 950هـ ،

---

* رئيس قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة ذمار .

بينما نجد الدكتور صلاح البهنسي في قراءته لنص التأسيس المتبقي على الجدار الشرقي من بيت المصلاة أثبت أن البناء كان في شهر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وتسعمائة [4] .

ويؤكد هذه القراءة باحث آخر هو الأستاذ خلدون هزاع من أن هناك شريطاً كتابياً يوجد داخل بيت الصلاة ، يبدأ من جدار القبلة ويمتد على طول الجدار الغربي ، وبطول لا يقل عن 250 متراً ، يحتوي على النص التأسيسي الحقيقي للمنشأة ، وهو مستهل شهر جمادى الأولى من عام 947هـ ، وانتهى بناؤها في مستهل شهر رمضان المبارك في عام 949 هـ ، ومطلعه : "أمر ببناء هذا المسجد والجامع المقدس"، ويستنتج الباحث من النص بأن تخطيط بناء هذا المسجد لا يختلف عن تخطيط مساجد الصلوات الخمس ، فهو من حيث الوظيفة يؤدي دور المسجد ، ويؤكد ذلك النص التأسيسي الموجود في جدار القبلة ، وإلى جانب تلك الوظيفة كان يقوم بدور المدرسة الدينية[5] ، وعلى ذلك يمكن القول إن هذه المدرسة كانت في الأصل مسجداً تحول فيما بعد إلى مدرسة عامرة يقصدها الطلبة من أتباع المذهب الزيدي الذي انتشر في اليمن . وكانت ذمار مركزا لأكابر العلماء وفقهاء ومدرسي هذا المذهب ، ولذلك عندما أرسل أمبراطور الهند أورنجزيب 1655- 1707 بعض الأسئلة الفقهية إلى إمام اليمن للإجابة عليها قام الإمام بعرضها على كبار العلماء ومنهم علماء ذمار[6] .

منازل طلبة المدرسة :

كانت هذه المدرسة إلى بضعة عشر سنة خلت صرحاً من صروح العلم ، فقد كانت أشبه ما تكون بخلية النحل لكثرة طلبة العلم الدارسين فيها إذ يفدون إليها في مواسم الدراسة من كل عام من شتى المناطق[7]، مثل آنس ، ومغْرب عنس، وخُبان ، والنادرة ، ورداع ، وعتمة[8] ، عدا الطلاب من المدينة نفسها .

وكان طلاب العلم الوافدون إلى ذمار يسمون بالمهاجرين ، يقيمون في المنازل – جمع منزل – الملحقة بالمدرسة الشمسية والمحيطة بها من جميع جهاتها [9] .

وبيوت الطلبة هذه ملاصقة للسور الخارجي للمدرسة من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية ، والجهة الشمالية الشرقية والشمالية الغربية، ويفصل بينها وبين بيت الصلاة

الصحن المكشوف[10] ، وهو صرح شماسي واسع[11]، ويتكون كل منزل من حجرة واحدة في كل طابق ، وهي عبارة عن مساحة مستطيلة تخصص لأكثر من طالب ، ويتخلل بعض المنازل فتحات (نوافذ) للإضاءة والتهوية ، بينما يخلو بعضها من النوافذ ، ولا يلحق بالمنازل مرافق خاصة بها من حمامات أو مطابخ، حيث أن القائمين فيها يستعملون الحمامات الخاصة بالمسجد[12] .

وكان بعض هذه المنازل معروفة بأسماء تتوارث الإقامة بها خلفاً عن سلف لطلب العلم ، فقد كان بيت الشامي ، وبيت الأشول من خُبان ، وبيت الشبيبي من آنس ، وبيت الجرموزي من عتمة ، ولغيرهم منازل معروفة بهم ، كما كان لبعض شيوخ العلم منازل خاصة بهم أيضا يقضون فيها ساعات من النهار وطرفا من الليل للاسترواح والإستجمام من عناء التدريس [13] .

من ذلك يتبين أن تلك المنازل كان قسم منها مخصص للطلبة ، وبعضها خصص لمن يتولى التدريس فيها، ويوفر وجود تلك المنازل ضمانة لعدم انقطاع الطلبة[14] ومدرسيهم عن الدراسة، كما أن وجود بيوت للطلبة يبين أن مصطلح مدرسة يصح إطلاقه على المسجد الشمسي .

وفضلاً عن ذلك يمكن القول إن هذه المدرسة وطريقة سكن الطلاب بجوارها تشبه مدارس أخرى دينية في العالم الإسلامي ، وإن كان عدد طلابها وعلمائها لا يصل إلى عدد طلاب وعلماء تلك المدارس إذا جاز ت المقارنة .

إعاشة طلبة المدرسة الشمسية ومدرسيها :

لم يشر ما توفر من مصادر إلى تفصيلات حول كيفية إعاشة الطلبة وبخاصة الوافدين منهم ، سوى ما ذكره المؤرخ إسماعيل الأكوع : بأنه لا توجد رواتب للطلبة الدارسين وإنما هناك عوائل من أهل ذمار يخصصون الخبز [15] ، وفضلا عن ذلك يضيف القاضي حمود الظرافي مدير أوقاف ذمار "وفي أحيان قليلة يقدم لحم بسيط" [16] .

فكان أغلب الطلاب الدارسين إن لم يكن كلهم يعيشون على ما تقدمه بعض بيوت المدينة من مساعدة للطلاب ، فقد كان الطالب يذهب عند الظهيرة إلى هذه البيت المخصص له ، فيقرع عليه الباب ، فيسأل : مَنْ ؟ فيقال مجيباً : (الراتب) ، فيعطى راتبه

وهو من الخبز ، ويكون في الغالب من الشعير أو الذرة أو البُر وبحسب حال أهل البيت ، وقد يكون معه إداماً ، ويكون أحد زملائه قد هيأ ما بقي من لوازم الغداء ، وفضلا عن تبرع الأهالي بالمواد الغذائية تلك للطلبة الدارسين ، فهناك أوقات خاصة بالعلماء والمتعلمين في ذمار ، كان يصرف لهم فيها حبوب في كل عام مرة أو مرتين ، وأحيانا تصرف حبوب ودراهم ، ومع أنها كانت زهيدة ليست ذات قيمة كبيرة لأنها كانت تنفد في اليوم نفسه ، إلا أنه كان لها في نفوس العلماء والمتعلمين فرحة لا يبلغ مداها اليوم الحصول على أضعاف أضعافها من المال [17] .

وهكذا كان غالبية طلاب المدرسة كما يظهر غير ميسورين ، وكانوا يعانون من شظف العيش ، مع ذلك كانوا مجدين في طلب العلم كل على حسب قدرته أو استعداده الذهني ، فكان معظم أولئك الطلاب يطلبون العلم ولا يملك أحدهم كتابا ، فيستعير من أصحاب الكتب أو من شيوخ العلم كتب الطلب ، وينقل عنها كل يوم مادة درسه ، فلا يكمل الكتاب إلا وقد صار لديه نسخة مما قرأ ، ثم لا تمضي بضع سنوات إلا ولديه كتب الطلب كاملة [18] .

ومن جانب آخر يذكر الحجري "أن أهل ذمار كانوا يحبون من هاجر إليهم من طلبة العلم ويقررون للفقراء منهم كفايتهم من الزاد"[19] .

وهذا الإنفاق على طلبة المدرسة ومن يقوم بالتدريس فيها ، يوفر الشرط الأساسي الآخر بعد توفير بيوت سكن الطلبة ، ليكتسب المسجد الشمسي صفة المدرسة .

طبيعة الدراسة في المدرسة :

كانت الدراسة في المدرسة الشمسية تتم على شكل حلقات مع العلماء المختصين داخل المسجد ، حيث أن كل واحد من أولئك العلماء يأخذ جانبا من المسجد في بيت الصلاة مستنداً على أحد الأعمدة فيه ويجتمع حوله الطلبة للأخذ منه والاستماع إليه[20].

وهذه الطريقة في التعليم تشبه التدريس في المدرسة المستنصرية في بغداد ، والأزهر في القاهرة، والزيتونة في تونس، وأماكن أخرى من بلدان الوطن العربي والعالم الإسلامي .

ويؤكد هذا الرأي في القرن العشرين عبد العزيز الثعالبي الذي زار ذمار في عشرينات ذلك القرن حيث مرّ بذمار سنة 1924 فذكر "أنه زار المدرسة الزيدية (يقصد المدرسة الشمسية) وهي مسجد كغيره من المساجد يدرّس فيه الفقه والنحو والأصول" ، ثم يضيف "ولاحظت أن المشائخ يقررون المسائل مثلما تقرر في جامع الزيتون والأزهر والقيروان ومدارس الهند بدون فرق . وذلك مما يدل على أن طريقة التعليم وأسلوبه واحد ، وأنها هي التي أفسدت عليهم تربيتهم وأبعدتهم عن التحصيل"[21] .

ويذكر محقق كتاب (مطلع الأقمار) في تعليقه على ترجمة الحسن بن عبدالله الريمي (1149 هـ- 1736م) بأن العالم كان يختار مكانا معينا في المسجد ليدرس طلبته فيه، وتعرف تلك البقعة بحلقة فلان ، وهكذا ، وما زالت مثل هذه الحلقات موجودة في كثير من مساجد اليمن ، كصنعاء ، وصعدة ، وزبيد ، وغيرها [22].

وكانت العلوم التي تدرس في المدرسة ، واختص بها أولئك العلماء ، العلوم الدينية واللغة العربية ، ومن أمثلة تلك العلوم : الفكر ، الفرائض ، المنطق ، المعاني والتفسير ، علوم العربية ، الفقه وعلم الأصول [23] ، وقد تتعداها إلى المساحة والفلك وغيرها .

ولا توجد في المدرسة مناهج نظامية مقررة مثل المدارس الرسمية العلمانية اليوم ، كما أن الدارسين في المدرسة ومن يدرسون فيها يتبعون المذهب الزيدي ، ولا يفد إليها العلماء من خارج اليمن ، ولا من المذاهب الأخرى ، ولا يوجد فيها نظام للحضور والغياب ، وليس فيها فحص ، فالدراسة ذات صفة ذاتية بالدرجة الأولى [24] .

ويبدو أن الدراسة في المدرسة لم تقتصر على الوافدين إليها ومن أهل المدينة من الكبار ، وإنما كان يجري فيها تعليم الصغار القرآن الكريم ، فيذكر القاضي إسماعيل الأكوع في مذكراته الخاصة المخطوطة باليد ، والمحفوظة في بيته عن ذلك النوع من التعليم قائلاً : "أدخلني والدي المدرسة الشمسية ، وعندما حضرت إلى فنائها وهي غرفة مظلمة كسائر المعالم ، وترتفع في صدرها دكة مرتفعة عن مستوى أرضها بنحو شبر يجلس عليها المعلم وتغطيها حصيرة بينما الطلاب يفترشون الأرض الجرداء ، وليس للعلامة سوى ما يدفعه ولي أمر الطالب للمعلم من جُعل بسيط في آخر الأسبوع يوم الخميس ، وإذا أكمل الطالب قراءة جزء من القرآن ، فإن وليه يدفع للمعلم ربع ريال

"عشر بقش" ، وإذا أكمل الطالب قراءة القرآن ووالده موسر فإنه يحتفل به ويسمى هذا الاحتفال نقاشا" [25]

وهكذا يظهر أن طبيعة ما يدرسه الطلبة هي علوم دينية ولغوية ، لذلك فإن تأثيرها الفكري على مستوى ذمار واليمن ظل ثانويا ، إذ لم يتوسع علماؤها في تدريس العلوم الأخرى الحديثة ، ولعل ذلك يعود إلى الجو الفكري العام الذي كان سائداً في اليمن في عهد الإمامة الذي كان يمنع فيه انتشار تلك العلوم .

مكتبة المدرسة :

من المستلزمات الأساسية للدارسين في أي مدرسة وبخاصة الدينية توفر مكتبة يفيد منها الدارسون ، ويعتمدون عليها في الحصول على المعرفة ، ولم تشذ المدرسة الشمسية عن هذه القاعدة ، فكان فيها مكتبة نفيسة أوقفها الكثير من العلماء . [26] لكن بعض من لا خير فيه من علماء ذمار كانوا يستعيرونها ولا يعيدونها ، وتوجد بقية من هذه المكتبة لدى ناظر أوقاف ذمار [27] .

وتم نهب كتب مكتبة المدرسة في نهاية ثلاثينات القرن الثامن عشر ، إذ أن أبا فارع أحد مشايخ وداعة ببلاد حاشد ، قد أتى إلى ذمار سنة 1150 هـ (1737 م) وانتهب أسواقها وبيوتها ، ودخل إلى المدرسة الشمسية المشهورة ، وانتهب فراشها وكتبها [28].

وللتعرف على ما بقي من مكتبة المدرسة الشمسية تمت مقابلة أحد موظفي مكتب الأوقاف والإرشاد في ذمار[29]، حيث تم الإطلاع على استمارات جرد الكتب المنسوخة ، قامت بها لجنة من فرع الهيئة العامة للآثار والمحفوظة في سجلين موجودين داخل غرفة مخصصة لحفظ الكتب التي جلبت من المدرسة الشمسية وغيرها .. وقد خصص المجلد الأول من الجرد لنسخ القرآن الكريم المنسوخة ، أما المجلد الثاني من الجرد فقد أحصينا فيه (85) كتاباً نسخت باليد ، أسمتها اللجنة الجاردة مخطوطات مؤلفة ، وواقع الأمر هي ليست كذلك ، فقسم منها نسخ لكتب الحديث ، مثل الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن يحيى العسقلاني ، وأغلب الكتب التي نسخت هي في الفقه ، وعددها (36) كتاباً ، وتليها

كتب الحديث وعددها (10) كتب ، ثم التفسير وأصول الفقه ولكل منها (4) كتب ، وبعدها النحو واللغة بواقع (3) لكل منهما ، أما علوم القرآن وعلم الكلام والأدب والبلاغة فواحد لكل منها ، وهناك كتابان في مواضيع متعددة تحتوي على بلاغة وطب وعلم الكلام .

ومن أمثلة الكتب المنسوخة كتب في الفقه: هو التكميل (3) أجزاء ومؤلفه أحمد بن يحيى ، وكتب على صفحتها الأولى وقف على المدرسة الشمسية ، والجزء الأول نسخ عام 1071هـ ، وتوجد كتب في الفقه نسخت في القرن الثامن الهجري ، منها الجامع في الشرح جمع زيد بن محمد (ج3) نسخ في سنة 721هـ ، والكافي في الشريعة (ج2) نسخ سنة 718هـ ، وكتاب اللمع (ج2) نسخ في سنة 726 هـ ، وكتاب نور الأبصار المنتزع من الانتصار نسخ سنة 741هـ لمؤلفه يوسف بن عثمان .

ومن كتب الحديث المستنسخة :(البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير) نسخ في سنة 831هـ ، وفي سنة 980هـ نسخ كتاب "زهر الربى على المجتبى شرح النسائي ومصباح الإجابة شرح ابن ماجة"[30]

ومن ذلك يتبين أن ما بقي من كتب مكتبة المدرسة الشمسية كانت متنوعة في موضوعاتها ، ففيها كتب عن السيرة النبوية ، والفقه ، والتفسير، والحديث ، وعلوم القرآن وعلم الكلام و النحو و اللغة و التصوف والبلاغة والأدب والتاريخ ، وكتابان تحت عناوين متعددة .

نماذج من علماء المدرسة الشمسية ودورهم التعليمي والوطني:

درّس في المدرسة الشمسية العديد من المشايخ المبرزين في علوم اللغة والكلام والمنطق والفقه ، ومن الصعوبة بمكان حصر كل أولئك العلماء خلال الفترات التاريخية المختلفة ، ولكن يمكن استعراض نماذج لبعض منهم من الذين درّسوا فيها ، ومما تجدر ملاحظته أن قسماً من أولئك العلماء برع في القضاء والآخر في الفقه ، والإفتاء ، وكان من بينهم شعراء عديدون ومؤرخون ، فيما مارس العديد منهم في مستهل القرن العشرين وحتى سقوط النظام الأمامي أدواراً سياسية في الحركة الوطنية ، والشاعر عبدالله البردّوني خير مثال على ذلك ، إذ شارك الأحرار بعد مقتل الإمام يحيى بالخطابة ، فسجنه الإمام أحمد في حجه بعد فشل الانقلاب لخطبه الشديدة التي كان يهاجم فيها

الإمام يحيى ، وكذلك العالم الشاعر الأديب علي بن علي عقبات ، أما من القراء فالعلامة صالح بن محمد الحودي إمام القراء (مولده سنة 1281هـ ووفاته سنة 1362هـ) [31] وهو علم آخر لايضاهى في هذا المجال ، ونكتفي بذكر المشهورين من العلماء الذين درَّسوا في المدرسة الشمسية من أهل ذمار ، فعلى سبيل المثال لا الحصر :

1) العلامة إبراهيم بن يوسف حثيث ، كان إمام الفقه ، وكان قد نشأ ببلدته ذي العليب من جهران ثم سكن ذمار واشتغل بالتدريس بها [32] .
2) العلامة مهدي بن علي بن محمد الشبيبي ، وكان عالما ومحققا للفروع ، مشاركا في غيرها ، وكان مشتغلاً بالدرس والتدريس ، توفي بذمار في 20 شهر صفر سنة 1107 .
3) ودرَّس فيها زيد بن عبدالله الأكوع ، وكان عالماً محققا في الفروع مشاركا في غير ذلك ، وقد تفقه به كثيرون ، منهم عبد القادر يحيى أحمد الكوكباني ، وإسماعيل بن يوسف بن المتوكل ، والحسن بن علي بن يحيى الشبيبي ، وكان إماما في الفقه مشاركاً في غيره ، انتهت إليه رئاسة العلم بمدينة ذمار ، تفقه في ذمار وظفير حجة، وكحلان ، وصنعاء ، فأخذ عن علي بن يحيى لقمان الذماري (مولده بذي حود من مخلاف المنار من أعمال آنس سنة1107هـ وتوفي بذمار سنة 1169هـ) .

ودرَّس فيها من المتأخرين :

1) يحيى بن محمد بن يحيى بن سعيد العنسي شيخ الشيوخ ، كان عالما مجتهدا محققا في أصول الفقه وأصول الدين وفروع الفقه وغير ذلك ، أخذ عنه كثيرون من العلماء وانتفعوا به ، ومنه أخذ يحيى بن محسن العنسي وعلي بن الحسين الأكوع والد المؤرخ إسماعيل الأكوع .
2) أحمد بن محمد بن حسن بن سعيد العنسي مفتي ذمار ، كان عالما محققا في الفقه ، وانتفع به كثير من العلماء وطلاب العلم ، ولد في 1240هـ وتوفي بذمار 1315هـ[33] .

3) عبدالله بن أحمد بن علوان بن مجاهد الشماحي ، ويعد شيخ شيوخ الفقه في عصره ، درس في ذمار ثم انتقل منها إلى صعدة في عهد الإمام الهادي شرف الدين في ذي القعدة 1306هـ ، مولده في قرية الشماحي من مخلاف وادي الحار من أعمال ذمار سنة 1253هـ .

4) علي بن حسن بن عبدالوهاب بن حسين بن يحيى الديلمي ، كان عالما محققاً في كثير من العلوم ، درس في المدرسة الشمسية في فنون عدة وقام بفصل الخصومات ، طلب منه الوالي العثماني أحمد مختار باشا أن يتولى القضاء في ذمار فاعتذر عن ذلك ، ولد بذمار 1260هـ ومات فيها 1330هـ .

5) يحيى بن محسن بن سعيد العنسي ، مولده بذمار 1264هـ ، وكان عالما محققا في التفسير والحديث وعلوم العربية ، وكان زاهداً ورعا تصدر للتدريس في المدرسة الشمسية فانتفع به عدد كبير من العلماء .

6) محمد بن عبدالله بن عبدالله بن سعيد العنسي ، مولده سنة 1281هـ ووفاته سنة 1362هـ ، وكان من العلماء المحققين في علوم السنة ، ويروى أنه قال للإمام يحيى بن محمد حميد الدين حينما كان يصلي العصر عقب صلاة الجمعة "لو أخرتم صلاة العصر إلى وقتها ولو مرة واحدة ليعرف الناس أن الصلاة في وقتها جائزة" ومن يومها لم يصل الإمام العصر عقب صلاة الجمعة مباشرة في الجامع [34] .

7) صالح بن محمد الحودي، ويسميه المؤرخ إسماعيل الأكوع شيخنا العلامة المقرئ ، كان إمام القراء بذمار في عصره بلا منازع ، وكان محققا في الفقه وأصول الدين ، وله مشاركة في غير ذلك ، كان يتصدر لتدريس العلوم في المدرسة الشمسية صباحاً ، ويتفرغ بعد أن يصلي العصر لاسماع القرآن الكريم من الطلاب مجودا على قراءة نافع ، وكان يدرس بين العشائين بعض العلوم ، انتفع به خلق كثير ، كان يذهب إلى صنعاء في بعض السنين أيام الخريف لقضاء فترات قصيرة فيأخذ عنه الطلاب قراءة القرآن .

8) عبدالله بن محمد بن علي العنسي مولده 1280هـ ووفاته 1352هـ ، كان فقيها محققا تفقه بالقاضي عبدالله بن أحمد الشماس ، والسيد عبدالوهاب بن أحمد الوريث ، وغيرهما . كان مدرس الفقه في المدرسة الشمسية .

9) علي بن محمد بن حسن بن يحيى الأكوع ، كان عالما مبرزا في الفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان وأصول الفقه ، تفقه بذمار ثم هاجر إلى شهاره فأقام فيها نحو من أربعة عشر عاما للدراسة ، وقد تفقه حتى بلغ درجة أهلته للتصدر للتدريس فدرس هناك ، وكان الإمام أحمد حميد الدين ممن درس عليه ، ثم عاد إلى ذمار فانقطع للدرس والتدريس في المدرسة الشمسية ، كان يقوم بتدريس (شرح الأزهار) في الفقه بعد الفجر يوميا لا يقطعه عن ذلك شيء حتى المطر ، ويحضر دروسه أكثر من خمسين طالباً ، ثم ينصرف إلى داره ليقضي بعض شؤونه الخاصة ثم يعود ، ضحى يومه فيدرِّس فيها دروسا متفرقة من النحو والصرف والمعاني والبيان وأصول الفقه ، ويذكر المؤرخ إسماعيل الأكوع أنه درس عليه في النحو والمعاني والبيان وأصول الفقه [35] ، ولد بذمار 1309هـ وتوفي فيها سنة 1396هـ .

10) علي بن يحيى عقبات، عالم شاعر أديب خطيب مصقع ، رحل إلى مصر للدراسة ثم عاد سنة 1320هـ ، واشتغل بالتدريس في المدرسة الشمسية ، ثم انتقل إلى صنعاء فدرس في المدرسة العلمية فيها ، وكان يتنقل في مدن اليمن ولا يستقر على حال .

11) إسماعيل بن علي بن حسن السوسوة ، كان خطيب جامع ذمار، وعالماً محققا في الفقه ، كان يلقي دروسه صباحا في مسجد الإمام المطهر بن محمد بن سليمان في الحوطة ، ويدرس الفقه بعد الظهر في المدرسة الشمسية ، وقد أخذ عنه كثيرون .

12) حسن بن زيد بن علي الديلمي، عالم محقق في الأصول والنحو والصرف والمعاني والبيان ، مبرز في علوم الحديث ، درس في ذمار ثم رحل إلى صنعاء

فأخذ عن شيوخ العلم فيها ، ولما رجع إلى ذمار اشتغل بتدريس كتب السنة وغيرها بالمدرسة الشمسية ، وقد تولى القضاء في وصاب واشتغل فيها .

13) عبدالله بن محمد السوسوة ، عالم محقق في الفقه مشارك في غير ذلك ، اشتغل في بداية أمره بالتدريس ، وكان يدرس في مسجد الإمام المطهر صباحا وفي المدرسة الشمسية بين العشائين .

14) لطف بن زيد بن علي الديلمي ، عالم محقق في النحو والمعاني والبيان وأصول الفقه ، له مشاركة تامة في التفسير والحديث ، تفرغ للتدريس في المدرسة الشمسية بين العصرين معظم حياته عدا فترة قصيرة تولى فيها القضاء، ثم عاد إلى التدريس[36] .

15) زيد بن يحيى عقبات ، كان عالما في النحو والصرف والمعاني والبيان وأصول الفقه ، درس في المدرسة العلمية بصنعاء ، ثم عاد إلى ذمار فاشتغل بالتدريس في المدرسة الشمسية ، شارك الأحرار في حركة ثورة 1367 التي أدت إلى مقتل الإمام يحيى حميد الدين ، وسجن في حجة نحو شهرين ثم أخلي سبيله .

16) أحمد بن عبدالوهاب بن أحمد الوريث ، كان عالماً مبرزاً في علوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وأصول ، وكان أديباً وشاعراً ، مؤرخاً خطيباً مصقعاً، درس الفقه على أبيه عبدالوهاب بن أحمد بن علي بن يحيى الوريث الذي أخذ من علماء ذمار ، وعلى شيوخ أبيه صالح بن محمد الحودي وعلي بن محمد الأكوع وغيرهم ، وانقطع للعلم ، ثم تصدر للتدريس بالمدرسة الشمسية بذمار سنة 1357هـ ، فبهر الناس لاسيما طلابه بنبوغه ومقدرته على التدريس ، وكان يقوم بتأليف تاريخ لليمن ، تناول فيه تاريخ الأئمة ثم حيل بينه وبين التدريس واستدعي إلى صنعاء فأوكل إليه إصدار مجلة (الحكمة اليمانية)، وعين عضواً مشاركاً في لجنة التأريخ اليمني ، وكانت أحاديثه في المجلة ومقالاته الجريئة في الحكمة اليمانية تزعج الإمام يحيى حميد الدين ، فكان يتعمد الإساءة إليه فيقتر عليه مخصصاته المعتادة له ، فلم يحتمل تلك الإهانة فمرض أياما ثم

مات كمداً ، وله مؤلف بعنوان (الكتاب الأسود في تاريخ الإمام يحيى بن محمد) وفقد بعد وفاته .

17) أحمد بن أحمد بن محمد بن قاسم سلامه ،عالم محقق في الحديث والتفسير والمعاني والبيان والنحو وأصول الفقه ، وله مشاركة في غير ذلك [37] ، انقطع للتدريس بالمدرسة الشمسية بذمار فترة طويلة ثم رحل إلى مكة المكرمة سنة 1379هـ .

بعض من طلاب المدرسة الشمسية ودورهم العلمي والوطني :

جذبت شهرة علماء المدرسة الشمسية وتضلعهم في شتى العلوم ، العديد من الدارسين من طلبة العلم ، فوفدوا إليها ونهلوا من علوم أولئك العلماء ، ودرسوا وتفقهوا على أيديهم ، وأخذوا عنهم ، ثم تصدر العديد منهم للتدريس في المدرسة نفسها ، وقسم آخر مارس القضاء ومناصب في الدولة ، وكان منهم شعراء وساسة ، كما كان أساتذتهم من قبلهم ، واشتغل بعضهم في الحركة الوطنية، وعارضوا حكم الأئمة فتعرضوا للسجن والقتل والتشريد.

ويجد الباحث صعوبة بالغة في حصر كل من تخرج من هذه المدرسة على مر العصور ، وذلك لعدم وجود أي سجلات في المدرسة يمكن الاعتماد عليها ، كما أن ما كتب عن مدينة ذمار بعامة ، وعن جانب التعليم بخاصة يكاد يكون معدوما ، ولم نجد خلال بحثنا عن هذا الموضوع أي كتاب عام يتحدث عن المدينة ، غير أن كتاب (مطلع الأقمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة ذمار ومن قرأ فيها وحقق من أهل الأمصار)، هو الاستثناء لمؤلفه الحسن بن الحسين بن حيدره 1170-1221هـ [38] الذي يشذ عن تلك القاعدة ، لكن هذا الكتاب يؤرخ للعلماء بذمار خلال القرون الهجرية الحادي عشر والثاني عشر والربع الأول من الثالث عشر (القرون الميلادية السابع عشر والثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر) ، وهذا يعني عدم وجود معلومات عن القرون السابقة ، وثلثي القرن التاسع عشر والقرن العشرين الميلاديين ، إذ أن ما أورده من تراجم شملت (146) عالما ، ولكنه لم يشر بالدقة إلى من درس منهم في

المدرسة الشمسية ، سوى إلى اثنين فقط ، هما مهدي بن علي الشبيبي وزيد بن عبدالله الأكوع [39] .

أما من أخذ بها، فقد أشار إلى الحسن بن عبدالله الريمي (1149هـ - 1736م)، فذكر أنه قرأ مدة في مدرسة ذمار المحمية (المقصود المدرسة الشمسية) ، وأخذ عنه عمه القاضي محمد بن أحمد الريمي[40] .

وقد تخرج مؤخراً في المدرسة الشمسية أديب اليمن عبدالله البردّوني ، والشاعر الكبير إبراهيم بن أحمد الحضراني ، والشهيد زيد الموشكي ، والمؤرخ إسماعيل بن علي الأكوع ، والمؤرخ محمد بن علي الأكوع ، وزيد بن يحيى عقبات ، ومحمد بن محمد بن إسماعيل المنصور ، وأحمد محمد الجوبي ، وأحمد بن محمد بن أحمد الأكوع [41]

وعلى هذا يمكن القول أن من كان يأتي إلى ذمار بقصد العلم ، كان يتوجه إلى المدرسة الشمسية، لأن من كان يدرس فيها من العلماء هم الأشهر والأكثر معرفة وعلماً، لا سيما في مجال علوم اللغة والنحو والفقه والأصول والمنطق وحتى بعض العلوم الأخرى ، كالفلك والمساحة وغيرها ، فتخرج فيها العديد من القضاة والفقهاء والشعراء في العصور الحديثة والمعاصرة ، ولاسيما أن المدارس الدينية كانت تمارس دوراً مهما في التعليم لمحدودية التعليم العلماني قبل ثورة 26 سبتمبر 1962م

كما مارس العديد ممن درس فيها أو أخذ بها أدوارا وطنية في تاريخ اليمن المعاصر ، فعارضوا النظام الإمامي السابق ، مما عرضهم إلى مصاعب تمثلت في السجن أو القتل ، وأسهمت المدرسة الشمسية بنشر العلم والمعرفة ورفدت القضاء الشرعي بقضاة أكفاء .

هوامش البحث :

1) حسين عبدالله العمري (د) ، ذمار ، الموسوعة اليمنية ، مؤسسة العفيف الثقافية ، المجلد الثاني ، صنعاء ، ص1362 .
2) جريدة الثورة (اليمنية) ، الأربعاء 23 رمضان 1418هـ الموافق 1998/1/21م .
3) إسماعيل بن علي الأكوع (القاضي)، المدارس الإسلامية في اليمن، دار الفكر ، دمشق 1980 ،ص 268، محمد فيصل عبد العزيز الأشول ، الإمام شرف الدين ودوره السياسي في اليمن ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة اليمنية ، كلية اللغات والآداب والتربية ، قسم التاريخ ، أكتوبر 2004 ، ص40 .
4) صلاح البهنسي (الدكتور) ، المسجد (المدرسة) الشمسي بذمار 947هـ / 1540م ، الإكليل ، العدد(27)، خريف 2002 ، صنعاء 2002 ، ص81 .
5) خلدون هزاع عبده نعمان ، المدرسة الشمسية درة الآثار الإسلامية في ذمار ، الثقافية (مجلة أسبوعية)، العدد 215 ، 2003/10/23م .
6) صلاح البهنسي ، المرجع السابق ، ص80 .
7) إسماعيل بن علي الأكوع ، (القاضي) ، المرجع السابق ، ص268 .
8) جريدة الثورة (اليمنية) ، مرجع سابق .
9) إسماعيل بن علي الأكوع ، (القاضي) ، المرجع السابق ، ص268 .
10) صلاح البهنسي ، المرجع السابق ، ص82 .
11) جريدة الثورة (اليمنية) ، مرجع سابق .
12) صلاح البهنسي ، المرجع السابق ، ص82 .
13) إسماعيل بن علي الأكوع ، (القاضي) ، المرجع السابق ، ص269 .
14) مصطفى عبدالله شيحه (الدكتور) ، دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية (ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية) سلسلة تاريخ المصريين ، العدد (51) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة 1992 ، ص414 .
15) مقابلة شخصية مع المؤرخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع في داره بصنعاء يوم الأحد الموافق 2005/2/27 الساعة الرابعة .
16) مقابلة شخصية مع القاضي حمود الظرافي في مكتب الأوقاف بذمار الأربعاء 2005/1/5م الساعة الواحدة ظهراً .
17) إسماعيل بن علي الأكوع ، المرجع السابق ، ص269 .
18) المرجع نفسه .
19) الحجري ، القاضي محمد بن أحمد ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق القاضي إسماعيل بن الأكوع ، المجلد الأول ، صنعاء ، 1984 ، ص345 .
20) مقابلة شخصية مع القاضي حمود الظرافي في مكتب الأوقاف بذمار الأربعاء 2005/1/5م.
21) عبد الباري طاهر ، اليمن في عيون ناقده ، صنعاء 2002 ، ص218 .

22) عبدالله بن عبدالله بن أحمد الحوثي ، مقدمة تحقيق مطلع الأقمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة ذمار ومن قرأ بها وحقق من أهل الأمصار ، للعلامة شرف الدين الحسن بن الحسين الطالبي ، صنعاء ، 2002 ، حاشية 2 ، ص204 .

23) مقابلة شخصية مع المؤرخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع في داره بصنعاء يوم الأحد الموافق 2005/2/27.

24) المقابلة نفسها .

25) المذكرات الشخصية للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع ، لاتزال بخط اليد ، محفوظة في بيته .

26) عبدالله بن عبدالله بن أحمد الحوثي ، المصدر السابق ، ص27 .

27) إسماعيل بن الأكوع (القاضي) ، المدارس الإسلامية في اليمن ، ص268 .

28) عبدالله بن عبدالله بن أحمد الحوثي ، المصدر السابق ، ص27 .

29) مقابلة مع السيد محمد الموشكي، موظف في مكتب الأوقاف والإرشاد بذمار ، الاثنين2005/4/11م، ذمار.

30) وزارة الثقافة والسياحة ، الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات ، الإدارة العامة للمخطوطات ، وفرع الهيئة العامة للآثار ، استمارات بالمخطوطات المؤلفة بمكتب الأوقاف والإرشاد بذمار ، المجلد الثاني ، يحتوي على استمارات نصفها مطبوع ونصف مكتوب باليد .

31) إسماعيل بن الأكوع (القاضي) ، المدارس الإسلامية في اليمن ، ص268 .

32) المرجع نفسه ، ص 270 – 272 .

33) المرجع نفسه ، ص 272 – 273 .

34) المرجع نفسه ، ص 273 – 276 .

35) المرجع نفسه ، ص 276 – 278 .

36) عبدالله محمد الحبيشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، مركز البحوث والدراسات اليمنية ، صنعاء 1980 ، ص254 .

37) إسماعيل بن علي الأكوع (القاضي) ، المرجع السابق ، ص278 – 279 .

38) الحسن بن الحسين الطالبي ، مطلع الأقمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة ذمار ومن قرأ فيها وحقق من أهل الأمصار ، تحقيق عبدالله بن عبدالله بن أحمد الحوثي ، دار الإمام زيد بن علي الثقافية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، 2002 ، ص53 .

39) المصدر نفسه ، ص159 .

40) المصدر نفسه ، ص159 .

41) جريدة الثورة (اليمنية) ، مرجع سابق .